الصبر على ذهاب البصر

صبر أصحاب النبي ﷺ على ذهاب بصرهم

صبر زيد بن أرقم رضي الله عنه على فقد بصره

أخرج البخاري في الأدب (ص ٧٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه يقول: رَمِدَتْ عيني، فعادني النبيُّ ﷺ ثم قال: «يا زيدُ، لَو أنَّ عَينَكَ لما بها[1] كَيفَ كُنتَ تَصنَعُ؟» قال: كنتُ أصبرُ وأحتَسِبُ، قال: «لو أنَّ عَينَكَ لما بها ثم صَبَرتَ واحتَسَبتَ كانَ ثَوابُكَ الجَنَّةَ». وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: دخلتُ مع النبي ﷺ نعود زيد بن أرقم وهو يشتكي عينيه، فقال له: «يا زَيْدُ لو كانَ بَصَرُكَ لما به وَصَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ لَتَلْقَيَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيسَ عَلَيكَ ذَنْبٌ» قال الهيثمي (٢/ ٣٠٨): وفيه الجُعفيّ وفيه كلام كثير وقد وثّقه الثوري وشعبة ـ انتهى.

وعند أبي يعلى وابن عساكر عن زيد بن أرقم رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ عليه يَعُودُه من مَرَضٍ كان به فقال: «لَيسَ عَلَيكَ بِنْ مَرَضِكَ هذا بأسٌ، وَلَكِنْ كَيفَ بِكَ إذَا عُمِّرْتَ بَعْدِي فَعَمِيتَ؟» قال: إذاً أَصْبِرْ وَأَحْتَسِب، قال: «إذَا تَدْخُلَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ»، فعمي بعد ممات النبيِّ ﷺ. وأخرجه البيهقي عن زيد بمعناه، كما في الكنز (٢/ ١٥٧)، وأخرجه الطبراني في الكبير عن زيد نحوه وزاد: فعمي بعدما ماتَ النبي ﷺ، وسلّم ثم ردَّ الله عزَّ وجلّ إليه بصره، ثم ماتَ رحمه الله. قال الهيثمي (٢/ ٣٠٩): ونباتة بنت برير بن حماد لم أجد من ذكرها.

صبر أحد الأصحاب على فقد بصره

وأخرج البخاري في الأدب (ص ٧٨) عن القاسم بن محمد: أنَّ رجلاً من أصحاب محمد ﷺ ذهبَ بَصَرُه فعادوه فقال: كنت أريدُهما لأنظرَ إلى النبي ﷺ، فأمّا إذ قُبِضَ النبيّ ﷺ فوالله ما يَسُرّني أن ما بهما بظبي من ظباءِ تَبالَة[2]. وأخرجه ابن سعد (٢/ ٨٥) عن القاسم نحوه.

الصبر على موت الأولاد والأقارب والأحباب

صبر سيّدنا محمد رسول الله ﷺ على موت ابنه إبراهيم

أخرج ابن سعد (١/ ٩٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت إبراهيم وهو

---

(١) «لَمَا بها»: أي ذهبت.

(٢) «تبالة»: بلد باليمن. و«الظبي»: الغزال.

يَكِيد[1] بنفسه بين يدَي رسول الله ﷺ، فدمعتْ عينا رسول الله ﷺ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «تَدْمَعُ العَينُ وَيَحْزَنُ القَلْبُ، وَلا نَقُولُ إلا ما يُرْضِي رَبَّنا، واللَّهِ يا إبْراهِيمُ إنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ».

وعنده أيضاً (١/ ٨٨) عن مكحول قال: دخلَ رسولُ الله ﷺ وهو معتمدٌ على عبد الرحمن بن عوف، وإبراهيم يَجُودُ بنفسه، فلما ماتَ دَمعَتْ عينا رسول الله ﷺ، فقال له عبد الرحمن: أيْ رسولَ الله هذا الذي تنهى الناسَ عنه متى يَرَكَ المسلمون تَبْكي يَبْكُوا!! قال: فلما شُرِيتْ[2] عنه عبرته، قال: «إنما هذا رَحْمَ، وإنَّ مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ، إنما نَنْهى الناسَ عَنِ النِّياحَةِ، وَأنْ يُنْدَبَ الرَّجُلُ بما لَيْسَ فيه» ثم قال: «لَوْلا أنَّهُ وَعْدٌ جامِعٌ، وَسَبِيلٌ مُشتاءٌ[3] وأنَّ آخِرَنا لاحِقٌ بأوَّلِنا، لَوَجَدْنا[4] عَلَيْهِ وَجْداً غَيرَ هذا، وإنا عليه لَمَحْزُونُون، تَدْمَعُ العَيْنُ وَيَحْزَنُ القَلْبُ، وَلا نقولُ ما يُسْخِطُ الرَّبَّ، وفَضْل رضاعه في الجَنَّة». وأخرجه أيضاً (١/ ٨٩) عن عبد الرحمن بن عوف أطول منه بمعناه.

صبره عليه السلام على موت ابن بنت له

وأخرج الطيالسي وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبّان عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ، فأرسلت إليه إحدى بناته تَدْعُوهُ وتخبره أن صبياً لها في الموت، فقال للرسول: «ارْجِعْ إليها فَأخبِرْها أنَّ للَّه ما أخَذَ وَلَهُ ما أعْطى، وكلُّ شيءٍ عِنْدَهُ بأجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْها فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» فعاد الرسول فقال: إنها قد أقسمت لتأتينَّها، فقام النبيُّ ﷺ وقام معه سعدُ بنُ عُبادة ومُعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم ورجالٌ، وانطلقتُ معهم، فرُفِع إلى رسول الله ﷺ الصبيُّ ونَفْسُهُ تَقَعْقَعُ[5] كأنَّها في شَنٍّ[6]، ففاضتْ عيناه فقال له سعدٌ: ما هذا يا رسولَ اللَّه؟ قال: «هذه رحمةٌ جعلها اللَّهُ في قُلُوبِ عبادِه، وإنَّما يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ». كذا في الكنز (٨/ ١١٨).

صبره عليه السلام على موت عمّه حمزة

وأخرج البزار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ وقف على

---

(١) يكيد: يجود بها، يريد النزع. «النهاية» (٤/ ٢١٦).
(٢) «لعله: «سريت»: أي كشفت.
(٣) «مشتاء»: مسلوك.
(٤) «لوجدنا» أي لحزنا. «مختار».
(٥) «تقعقع». تضطرب وتتحرك.
(٦) «شن»: قربة خلقة.

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد، فنظر إلى مَنْظَرٍ لَمْ ينظر إلى منظرٍ أوجَعَ للقلب منه ـ أو أوْجَع لقلبه منه ـ، ونظر إليه وقد مُثِّلَ به[1]، فقال: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، إِنْ كُنْتَ مَا عَلِمْتُ لَوَصُولاً لِلرَّحِمِ، فَعُولاً لِلْخَيْرَاتِ، وَاللَّهِ لَوْلاَ حُزْنُ مَنْ بَعْدَكَ عَلَيْكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَتْرُكَكَ حَتَّى يَحْشُرَكَ اللَّهُ مِنْ بُطُونِ السِّبَاعِ ـ أو كلمة نحوها ـ. أما واللَّهِ على ذلكَ لأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ كَمِيتَتِكَ» فنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه السورة وقرأ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ[2]﴾ ـ إلى آخر الآية ـ، فكفَّر[3] رسولُ الله ﷺ وأمسكَ عن ذلك. وفيه صالح بن بشير المرِّي[4] وهو ضعيف، كما قال الهيثمي (٦/ ١١٩)، وأخرجه الحاكم (٣/ ١٩٧) بهذا الإسناد نحوه.

وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما وقفَ رسول الله ﷺ على حمزة رضي الله عنه نظرَ إلى ما به فقال: «لولا أنْ يَحْزُنَ نِساؤنا ما غَيَّبْتُه، وَلَتَرَكْتُهُ حَتَّى يكونَ في بُطُونِ السِّباعِ وَحَواصِلَ الطَّيرِ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مِمَّا هُنالِكَ» قال: وأحزنه ما رأى به فقال: «لَئِنْ ظَفِرْتُ بِهِمْ لأُمَثِّلَنَّ بِثلاثِينَ رجلاً مِنْهُمْ» فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ـ إلى قوله ﴿يَمْكُرُونَ﴾، ثم أمر به فهيىء إلى القبلة، ثم كَبَّرَ عليه تسعاً، ثم جمع إليه الشهداء كلما أُتي بشهيدٍ وضع إلى جنبه فصلَّى عليه وعلى الشهداء التنتين وسبعين صلاة، ثم قام على أصحابه حتى واراهم؛ ولما نزل القرآن عفا رسولُ الله ﷺ وتجاوز وترك المُثْل. وفيه أحمد بن أيوب بن راشد وهو ضعيف. قاله الهيثمي (٦/ ١٢٠).

حزنه عليه السلام على زيد بن حارثة

وأخرج ابن أبي شيبة وابن منيع والبزار والباوَرْدي والدارقطني في الأفراد وسعيد بن منصور عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: لما قُتل أبي أتيتُ النبيَّ ﷺ، فلما رآني دَمَعَتْ عيناه، فلما كانَ من الغدِ أتَيْتُهُ فقال: «ألاقي مِنكَ اليومَ ما لاقَيتُ مِنكَ أمسِ». كذا في المنتخب (٥/ ١٣٦)؛ وعند ابن سعد (٣/ ٣٢) عن خالد بن شُمَير قال: لما أصيب زيد بن

(١) «مثلَ»: بالقتيل إذا جدعت أنفه، أو أذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه. «النهاية» (٤/ ٢٩٤).

(٢) [١٦/ سورة النحل/ ١٢٦].

(٣) الكفّارة عبارة عن الفعلة التي من شأنها أن تكفّر الخطيئة: أي تسترها وتمحوها. «النهاية» (٤/ ١٨٩).

(٤) في الأصل «صالح بن بشير العزني» وهو تصحيف والصواب «صالح بن بشير المزني». وهو معروف به. قال عباس الدُّوري في «تاريخه» (٢/ ٣٦٢) عن يحيى بن معين: ليس به بأس. وزاد: رأيت يحيى ليس له في صالح المزي كبير رأي. «تهذيب الكمال» (١٣/ ١٦).

حارثة رضي الله عنه أتاهم النبيّ ﷺ قال: فَجَهِشَتْ[1] بنت زيد في وجه رسول الله ﷺ، فبكى رسول الله ﷺ حتى انْتَحَبَ[2]، فقال له سَعْدُ بنُ عُبادة رضي الله عنه: يا رسولَ الله ما هذا؟ قال: «هذا شَوْقُ الحَبِيبِ إلى حَبِيبِهِ».

حزنه عليه السلام على عثمان بن مظعون

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَبَّلَ النبيُّ ﷺ عثمانَ بنَ مظعونٍ رضي الله عنه وهو مَيِّتٌ وهو يَبْكي وعيناه تَذْرِفانِ. كذا في الإصابة (٢/ ٤٦٤)؛ وأخرجه ابن سعد (٣/ ٢٨٨) عن عائشة نحوه، وفي روايته قال[3]: فرأيتُ دموع النبي ﷺ تَسيلُ على خَدِّ عثمان بن مظعون.

صبر أصحاب النبي ﷺ على الموت

صبر أم حارثة على موت ابنها

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه: أنَّ حارثة بن سُرَاقَة رضي الله عنه قُتِلَ يومَ بَدْرٍ وكان في النَّظَّارة[4]، أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ[5] فقتله، فجاءت أُمُّهُ فقالت: يا رسول الله أخبرني عن حارثة، فإن كانَ في الجنةِ صَبَرْتُ، وإلا فَلَيَرَيَنَّ اللهُ ما أَصْنَعُ ـ يعني من النياح وكانت لم تحرَّم بعد ـ فقال لها رسول الله ﷺ: «وَيْحَكِ أَهَبِلْتِ[6]؟! إنَّها جِنانٌ ثمانٍ، وإنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى». كذا في البداية (٣/ ٢٧٤)؛ وأخرجه البيهقي (٩/ ١٦٧) عن أنس نحوه وفي رواية: فإنْ كان في الجنة صَبَرْتُ وإنْ كانَ غيرَ ذلك اجتهدتُ عليه البكاء، قال: «يا أُمَّ حارثة إنَّها جِنانٌ في الجنة وإنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى». وأخرجه ابن أبي شيبة، كما في الكنز (٥/ ٢٧٣)، والحاكم (٣/ ٢٠٨) وابن سعد (٣/ ٦٨) عن أنس بمعناه والطبراني كما في الكنز (٥/ ٢٧٥) عن حصن بن عوف الخثعمي رضي الله عنه بمعناه وفي حديثه قال: «يا أُمَّ حارِثَةَ إنَّهَا لَيْسَتْ بِجَنَّةٍ واحِدَةٍ ولَكِنَّهَا جِنانٌ كَثِيرَةٌ وهُوَ في الفِرْدَوْسِ

---

(١) «الجهش»: أن تفزع إلى أحد وتلجأ إليه مع إرادة بكاء كما يفزع الصبي إلى أمه.

(٢) «انتحب»: البكاء بصوت طويل ومدّ. «النهاية» (٥/ ٢٧).

(٣) والظاهر «قالت».

(٤) «النظّارة»: مشدّداً، القوم ينظرون إلى الشيء.

(٥) «سهم غرب»: أي لا يعرف راميه «النهاية» (٣/ ٣٥٠).

(٦) «هَبِلَتْ»: ثكلت. وقد استعاره ههنا لفقد الميز والعقل مما أصابها من الثكل بولدها كأنه قال: أفقدت عقلك بفقد ابنك حتى جعلت الجنان جنة واحدة.